أن نترجم أو نقرب شعر القدماء من الجاهليين أو من الإسلاميين الى هذه اللغة اليسيرة التى نصطفيها فيما يكون بيننا من الأحاديث . هذه الترجمة الأدبية ليست بالأمر اليسير ، فالكاتب يعبر عن آرائه من خلالها تعبيرا ضمنيا ، ولذلك كانت محتاجة الى الأناة كما يحتاج كل نص أدبى .

الترجمة الأدبية تعبر باللغة لا بالآراء ، تعبر بتكرار بعض الألفاظ أو بعض التراكيب أو استعمالها بطريقة لافتة ، من مثل أن يقول الدكتور طه : « لولا هذه الآثار الضئيلة التى يصورها الشعر ، ولولا هذه الذكرى التى تملأ نفس الشاعر شوقا وحنانا ، ولولا هذه الأسماء التى حفظها الشاعر فهو يجرى بها لسانه استثارة لعواطف الحب والحنان . ومن الواضح أن الدكتور طه قد اعتمد على هذا التركيب الخاص لمعنى لايوضحه ، ولكنه حريص على الإيماء إليه ، وإذا تأملنا فى هذا النوع من الترجمة وجدنا ظواهر كثيرة تلفت النظر من مثل قوله : « خلت الديار من أهلها ـ وهى مع ذلك ـ معرضة لأحداث الجو » ، ولايستطيع القارىء ـ إذا تمهل ـ أن يغضى عن قول طه «وهى مع ذلك » فالعلاقة بين العبارات إذن ذات مغزى خاص ينبه اليه الدكتور طه من بعيد ، فهو يفتح باب التأمل ، ولكنه يعرض عن إبداء رأى خاص اكتفاء بتنبيه تخيل القارىء وعقله ، ومثل ذلك قوله فى التعبير عن النبات : « وهذا النبات الذى يثور فإذا الأرض تنشق عنه ، وإذا هو يمضى فى ثورته حتى يرتفع ، فهذا البناء أو التركيب لايمكن أن يمضى عبثا ، فهناك حرص على البطء أو الهدوء حينما يعبر عن السرعة والانطلاق أو الحياة .

الواقع أن أحدا لايستطيع أن يجارى طه حسين فى مثل هذه الترجمة الأدبية لأن الناقد كثيرا مايكون قارئا لايتمتع بنشاط الإبداع ، ولكن طه أراد أن يجرب طاقته الإبداعية فى التنبيه على بعض مظاهر البنية فى مطولة لبيد . الدكتور طه يتجه إلى القارىء العام يريد أن يغذو عقله وقلبه ، ولذا كان من الراجح عنده أن يسلك هذا الطريق ، وأن يلفته بين حين وحين الى بعض الآراء العامة التى يستطيع القارىء بواسطتها أن يذهب الى مايشاء ، أى أن الدكتور طه يكتفى بأعمدة قليلة يمكن أن تصاغ منها أبنية عديدة .

ومهما يكن فقد كان الدكتور طه فى قراءته هذه موضوعيا من ناحية ، وملائما لحاجة القارىء المعاصر من ناحية ثانية . قل أن يستطيع امرؤ الجمع بين هاتين الحاستين لأن